الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد

(١٢٧٨- ١٣٥٩هـ/ ١٨٦١- ١٩٤٠م)

حياته وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة

دراسة تاريخية

د. عبدالله بن إبراهيم التركي
قسم الاجتماعيات - كلية المعلمين - الرس

يذكر التاريخ الحديث للمملكة العربية السعودية في صفحاته رجالاً أسهموا بما يستطيعونه في سبيل رفعة دينهم ثم خدمة بلادهم وبناء وطنهم، وشاركوا في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في ترسيخ الأمن، والقضاء على الفتن، والقيام بمسؤوليات عظيمة في مناطق مختلفة من هذه البلاد المعطاء.

ومن هؤلاء الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد - رحمه الله - الذي قام بجهود مشكورة في القضاء والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي سبيل نشر العقيدة الصحيحة، المبنية على الدليل من الكتاب والسنة، ونشر العلم بين الناس، إضافة إلى مشاركته في المؤتمر الإسلامي الأول الذي أقيم في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ممثلاً عن الملك عبدالعزيز، ورئيساً للوفد السعودي، وإن كان طابع هذا المؤتمر سياسيًا إلا أنه دحض الحجج، وفند الآراء المنادية بإعادة بناء القباب على القبور، إضافة إلى جهوده في مناصحة الإخوان وعامة الناس، ومشاركته في وضع أسس التنظيمات الإدارية للقضاء في منطقة الحجاز، والعمل على تنظيم شؤون الحرمين الشريفين.

أهمية البحث وهدفه:

تكمن أهمية هذا البحث أنه لا توجد دراسة علمية - حسب علمي - تتبعت الجهود التي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهد في سبيل الدعوة والقضاء، رغم وجود المادة العلمية اللازمة من وثائق متفرقة، وصحف قديمة، ونبذ موجزة مبثوثة في بطون كتب التراجم والتاريخ، ولذلك تتبع الباحث هذه الوثائق، وحصل عليها من مظانها، وجمع الصحف القديمة، والنبذ المتفرقة، وعمل مقابلة شخصية مع واحد من الذين عاصروا الشيخ في آخر حياته(١). ويهدف هذا البحث إلى الخروج بدراسة شاملة لحياة الشيخ وبيان جهوده في القضاء والدعوة.

وسوف أُعرف بداية بأسرة الشيخ، ثم مولده ونشأته، وسوف أتناول بعد ذلك رحلاته لطلب العلم، وجهوده في الدعوة والقضاء في منطقة القصيم، ثم أعرج على تعيينه قاضياً في حائل للمرة الأولى، ثم أُبين جهوده في القضاء خلال رئاسته له في الحجاز، إضافة إلى ما قام به في مجال تنظيم شؤون الحرمين، وتصحيح بعض الجوانب العقدية الخاطئة الموجودة لدى بعض الجهلة هناك، وكذلك مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م. وسوف أعرض الجهود التي قام بها الشيخ في توعية الإخوان، وعودته للقضاء في حائل للمرة الثانية، ومنهجه في القضاء، وأنشطته العامة، ومؤلفاته، ثم أشير إلى وفاته، وأختم هذا البحث بأهم النتائج التي تم التوصل إليها(٢).

---

(١) هو الشيخ عبدالعزيز الجرييع، متعه الله بالصحة والعافية، في مقابلة أجريت معه في ١٣/٢/١٤٢٥هـ.

(٢) بعد الانتهاء من إعداد هذا البحث اطلعت على الكتاب الذي صدر عن الشيخ عبدالله بن بليهد بوصفه من علماء حائل، الذي ألفه الأستاذان: سعد العفنان وعبدالعزيز البليهد، ووجدته كتابًا قيمًا، ولكني لم أجد فيه ما يمكن إضافته، لكون المادة العلمية التي أخذنا منها جميعًا متقاربة جدًا، ومصدرها واحد، بل إن أحد مصادري الذي زودني بالمادة العلمية هو الأستاذ عبدالعزيز البليهد أحد مؤلفي الكتاب، وقد أشرت إلى ذلك في هذه المقدمة.

وأشير هنا إلى أن الباحث ضرب صفحاً عن القصص والأخبار المتداولة حول الشيخ؛ لعدم وجود أسانيد علمية لها يمكن الركون إليها، وأشكر هنا كلاً من: الشيخ سعود بن صالح البليهد، والأستاذ عبدالعزيز بن ناصر البليهد، والأستاذة هيلة بنت محمد البليهد، على جهودهم في تزويدي بالمادة العلمية المتوافرة لديهم، وكذلك الشكر موصول إلى القائمين على المكتبات العلمية الخاصة والعامة في مدينة الرياض، وفي مكة المكرمة، والقائمين على دارة الملك عبدالعزيز.

أولاً: أسرته ونشأته

هو عبدالله بن سليمان بن سعود(٣) بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن عثمان بن بليهد بن عبدالله بن فوازن بن محمد بن عائذ بن بليهد بن عثمان(٤)، وآل بليهد عشيرة من آل سيار (السيايرة)، وهم فخذ من آل جبور(٥) أحد فروع قبيلة بني خالد العامرية العدنانية(٦).

استوطن عثمان جد آل بليهد بلدة غسلة إحدى قريتي القرائن في منطقة الوشم بعد أن عمرها، وبرز من ذريته فيها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن بليهد الذي ذكره المنقور في تاريخه فقال: "وفي سنة أربعة وتسعين وألف قرأت على الشيخ عبدالله بن ذهلان بحضور عبدالرحمن بن بليهد"، واستمر في طلبه العلم حتى توفي في

---

(٣) يذكر الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ أن الجد الثاني لابن بليهد هو سالم، وهو ما لم يذكره غيره. آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط١، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٢٢٦.

(٤) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٣، دار العاصمة، الرياض ١٤١٩، ج٤، ص١٣٨.

(٥) حكم الجبور منطقة شرق شبه الجزيرة العربية، وامتد نفوذهم إلى منطقة نجد وجزيرة البحرين في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ثم بدأ نفوذهم بالضعف بعد مقتل زعيمهم مقرن بن زامل سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، على يد البرتغاليين. الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م - ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، عدد ١٦، السنة ١٤، ١٩٨١م، ص٣٧ وما بعدها.

(٦) الوهبي، عبدالكريم بن عبدالله، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ١٠٨٠-١٢٠٨هـ/ ١٦٦٩-١٧٩٤م، ط١، دار ثقيف للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٨٠.

الوباء الذي أصاب بلدان نجد عام ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م(٧). كما برز من ذريته الشيخ عبدالرحمن بن سليمان بن عثمان بن بليهد الذي تولى قضاء المجمعة حتى وفاته عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م(٨).

وانتقل الشيخ سعود بن محمد بن بليهد جد المترجم له إلى منطقة القصيم، واستوطن عيون الجواء(٩) بعد أن عينه الإمام تركي بن عبدالله قاضياً فيها، ويذكر الشيخ إبراهيم بن ضويان أن "سعود بن بليهد له مشاركة في العلم،... خلّف كتباً بخط يده، وكان ابنه سليمان ينتصب إماماً في قرى القصيم الشمالية"(١٠). ومن هنا يتبين أن سليمان بن سعود والد الشيخ عبدالله كان على قدر لا بأس به من العلم، مكنه ذلك من تولي إمامة الناس في الصلاة مع ما يستلزم ذلك من الأمور الأخرى.

ولد الشيخ عبدالله بن بليهد في بلدة القرعاء(١١) عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م(١٢)، فأخذ مبادئ القراءة والكتابة عن والده، وحفظ القرآن

---

(٧) المنقور، أحمد بن محمد، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق ونشر الدكتور عبدالعزيز الخويطر، ط١، الرياض، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٥٩، ٦٤-٦٥؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص٣٣٧.

(٨) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٣ ص٦٠.

(٩) عيون الجواء مدينة صغيرة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة، وتبعد عنها ما يقارب ٤٠ كيلاً. العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، ط٢، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج٤، ص ١٧٨٣-١٧٩٢.

(١٠) العمري، صالح بن سليمان، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، ط١، مطابع الإشعاع، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص٣٣٢؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٧٤؛ ج٤، ص١٤٠.

(١١) القرعاء قرية صغيرة قديمة العمران تقع إلى الشمال من مدينة بريدة على بعد ٢٣ كيلا تقريبا. العبودي، مصدر سبق ذكره، ج٥، ص ١٩٣٤-١٩٥٦.

(١٢) يذكر علي الهندي أحد تلاميذه أن ميلاده كان في عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. وهذا فيما يبدو غير دقيق؛ إذ يعني ذلك أن الملك عبدالعزيز حينما عينه قاضياً في الحجاز كان عمره ٨٤ سنة. الهندي، علي بن محمد، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، د. ط، د. ت، د. ن، ص١٨.

عن ظهر قلب، وشجعه والده على طلب العلم(١٣) بعد أن ظهرت له استعداداته الفطرية، وتهيأت له عوامل ساعدته فيما بعد على سرعة التحصيل، والنجاح في الدراسة.

ثانياً: رحلاته لطلب العلم

قصد عبدالله بن بليهد في بداية الأمر بلدة المذنب(١٤) لطلب العلم على الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل(١٥) في التفسير والحديث وغيرهما من علوم الشريعة، ثم انتقل إلى بريدة، فطلب العلم هناك على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم(١٦) خاصة علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه وأصوله، حتى فاق أقرانه حفظاً وفهماً(١٧). ويذكر أحد تلاميذه أنه سمعه مرة وهو في منزله بحائل يقول لأبنائه وهو يحثهم على طلب العلم: "والله لقد كنت أطلب العلم على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ببريدة، وإن وسادتي لعدة شهور لبنة في سطح الجامع في الصيف"(١٨).

---

(١٣) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٠.

(١٤) المِذْنَب إحدى مدن منطقة القصيم تقع في الجهة الجنوبية منها عمرت حوالي القَرن السادس أو السابع الهجري، ومعنى المذنب، أي: مسيل الماء إلى المناطق المنحدرة. العبودي، مصدر سبق ذكره، ج٦، ص٢٢٣٦- ٢٢٤٣؛ الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (المعجم المختصر)، ط١، دار اليمامة، الرياض، د. ت، ج٣، ص١٢٩٦.

(١٥) ولد الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل في المجمعة، ولما شب عن الطوق طلب العلم على علمائها، ثم درس على عدد من علماء الرياض، ثم عُين قاضيا ومدرساً في المذنب فاستوطنها، والتف حوله عدد كبير من الطلبة من أنحاء منطقة نجد، وتوفي في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٣٦٥-٣٦٧.

(١٦) ولد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم في بريدة عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، وفي الثانية عشرة من عمره انتقلت كفالته إلى عمه الشيخ عمر، تتلمذ على عمه وعلى الشيخ عبدالعزيز العبادي والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، تولى إمامة مسجد عمه، ثم جلس للتدريس إلى أن توفي في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. للاستزادة، انظر: العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٤٨٥-٤٨٦.

(١٧) العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢ ص٣٣٢.

(١٨) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

كما طلب العلم في بريدة على الشيخ محمد بن عمر بن سليم(١٩)، والشيخ عبدالله(٢٠) بن مفدى(٢١). وفي الرس طلب العلم على الشيخ صالح بن قرناس آل قرناس(٢٢)، وأكب على كتب ابن تيمية وابن القيم، فكانت كما يقول أحد طلبة العلم: "صبوحه وغبوقه"(٢٣). وبعد أن نال نصيباً عالياً من العلم جلس للتدريس في بريدة، وأخذ عنه عدد من الطلبة(٢٤)، ويبدو أن ذلك كان بطلب من بعض مشايخه هناك لما لمسوه منه من التفوق والنبوغ(٢٥).

وتذكر بعض المصادر أن المترجم له أصيب بمرض في الأمعاء، ونظراً لعدم وجود مستشفيات متقدمة في ذلك الوقت في شبه الجزيرة العربية اضطر إلى السفر إلى الهند للعلاج، فمن الله عليه بالشفاء بعد عملية جراحية أجريت له هناك، وقد استغل ابن بليهد

---

(١٩) ولد الشيخ محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن سليم في بريدة عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، وتتلمذ على الشيخ سليمان بن مقبل والشيخ عبدالله أبابطين وعلى علماء الرياض، ثم جلس للطلاب، وتتلمذ عليه أناس كثيرون، برز في الفقه، ورفض تولي قضاء بريدة، توفي في بريدة عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٣٤٠-٣٤٨.

(٢٠) ولد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن مفدى في بريدة عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م، ونشأ بها، وتتلمذ على علمائها، وأشهرهم الشيخ محمد بن سليم والشيخ سليمان بن مقبل، وتتلمذ على علماء الرياض، وتولى إمامة أحد مساجد بريدة، وجلس للتدريس فيه، وتتلمذ على يديه عدد كبير من الطلاب، اتصف بالزهد، توفي عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م. العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٣٧٦-٣٧٩.

(٢١) آل الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص٩٣.

(٢٢) ولد الشيخ صالح بن قرناس آل قرناس في الرس عام ١٢٥٣هـ /١٨٣٧م، وتتلمذ على والده وأخيه محمد والشيخ محمد بن سليم والشيخ سليمان بن مقبل، وتولى قضاء الرس بعد أخيه محمد عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، وبقي في القضاء حتى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، وتوفي عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م. البسام، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٥٢٦-٥٣٠.

(٢٣) القاضي، محمد بن عثمان، روضة الناظرين وحوادث السنين، ط١، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج١، ص٣٩٢.

(٢٤) المسلم، إبراهيم، عبدالعزيز بن سعود وشخصيات في الذاكرة، ط١، د. ن، د. م، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٣٣.

(٢٥) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز الجربيبع سبقت الإشارة إليها.

وجوده هناك؛ فطلب علم الحديث الذي تميز به بعض علماء الهند، فأجيز بسند متصل بالرواية(٢٦). وقد كان للشيخ في هذه الرحلة جهود موفقة في شرح حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعتقد أهل نجد لعلماء الهند(٢٧). ولا تذكر المصادر المتوافرة بين أيدينا المدة التي أمضاها هناك.

عاد الشيخ عبدالله بن بليهد بعد ذلك إلى الرياض، فكان مكاناً مناسباً له لطلب العلم على علمائها، فجلس عند ثلاثة من أبرز العلماء هناك لدراسة الأصول والفروع إضافة إلى علوم اللغة العربية(٢٨)، ثم رجع بعد ذلك إلى القصيم منهياً بذلك رحلاته العلمية، بعد أن نال نصيباً وافراً من العلم .

ثالثاً: جهوده في الدعوة والقضاء في منطقة القصيم

بعد عودة الشيخ ابن بليهد إلى بلدته الأولى القرعاء لم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل مع أسرته إلى البكيرية(٢٩)، وتولى إمامة جامعها بعد وقت قصير من وصوله هناك، وفرح به أهل البكيرية، فقدروه بما يستحقه من تقدير، فأصبح هو المرجع في الإفتاء، ولم يلبث إلا قليلاً حتى جلس للتدريس في جامعها، فقصده الطلاب من سائر بلدان القصيم، وذاع صيته بين الناس هناك، ولم يقتصر الشيخ على ذلك، بل إنه كان يقوم بين الفينة والأخرى بالتجول بين بلدان القصيم للوعظ والإرشاد والإفتاء(٣٠).

---

(٢٦) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج١، ٣٩٢.

(٢٧) العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ٣٣٤.

(٢٨) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٣٩٢-٣٩٣؛ العمري، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص ٣٣٤.

(٢٩) البكيرية إحدى البلدان الواقعة في وسط منطقة القصيم، حدثت فيها معركة البكيرية عام ١٣٢٢هـ، وهي ذات نخل ومزارع، اشتهر أهلها بالدين والعلم. الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج١، ص٢٩٠.

(٣٠) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص١٨؛ مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز الجريبيع سبقت الإشارة إليها.

وقد ارتبط الشيخ عبدالله بن بليهد بعلاقة وثيقة مع الملك عبدالعزيز منذ فترة مبكرة، وكذلك مع علماء آل الشيخ، الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز يوليه قضاء البكيرية والرس والبدائع(٣١) والخبراء(٣٢)، وما حولها من القرى والبادية، وذلك في عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م، فكان الشيخ يتنقل بين هذه البلدان للقضاء والفتيا والدعوة والإرشاد(٣٣)، وتتلمذ على يديه في تلك المنطقة عدد كبير من طلبتها، وصار له أثر كبير في توجيه الوصايا والأوقاف الوجهة الشرعية، وتصحيح بعض المفاهيم العقدية الخاطئة، ويذكر بعض المعاصرين له(٣٤) أنه كان يرقي من مس الجان، فاستفاد منه خلق كثير. فكان الشيخ هو المعتمد الأول في التدريس والفتيا في تلك البلدان، فوفق في أحكامه، وظل على هذا الحال حتى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م حيث ولاه الملك عبدالعزيز قضاء حائل بعد ضمها إلى حكمه.

رابعاً: تعيين الشيخ عبدالله بن بليهد قاضيا في حائل للمرة الأولى

بعد أن استعاد الملك عبدالعزيز حائل رأى بثاقب حكمته وبصيرته أن منطقة حائل وما حولها من المناطق الشمالية تحتاج إلى قاض يجمع بين العلم والحكمة؛ فوجد ضالته تلك في الشيخ عبدالله بن بليهد، فنقله إلى قضاء تلك المنطقة في عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وكان في إمارتها إذ ذاك إبراهيم بن سبهان، ثم تولى بعده الأمير

---

(٣١) البدائع إحدى بلدان منطقة القصيم، تقع وسط المنطقة، وتبعد عن بريدة ٤٥ كيلا تقريبا. الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج١، ص٢٦١.

(٣٢) الخبراء تقع وسط منطقة القصيم تقريباً، وهي بلدة قديمة، لها ذكر في مصادر التاريخ السعودي، وتبعد عن بريدة ٥٥ كيلا. الجاسر، المعجم الجغرافي المختصر، ج١، ص٥١١.

(٣٣) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤١؛ المسلم، مرجع سبق ذكره، ص١٣٣.

(٣٤) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز الجريبيع، سبقت الإشارة إليها.

عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي في عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م(٣٥)، فكان ذلك الأمير ذا سلطة قوية سخرها لتثبيت الأمن في تلك المنطقة، ولتنفيذ أحكام القضاء التي تصدر عن الشيخ عبدالله بن بليهد آنذاك.

وقد كان للشيخ عبدالله جهود موفقة في تصحيح بعض المفاهيم العقدية الخاطئة، وعقد دروساً علمية متنوعة هناك، ويذكر الشيخ عبدالله البسام: أن ابن بليهد وجد في مدينة حائل مكتبة عامرة خلفها آل رشيد أمراء حائل السابقين، فاستفاد منها فائدة كبيرة(٣٦).

وقد كان للشيخ عبدالله بن بليهد مراسلات مع الملك عبدالعزيز في تلك الفترة، الهدف منها السلام والاطمئنان، ومتابعة الأوضاع، انظر مثلاً إلى رسالة بعثها الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله مؤرخة في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٤٢هـ ردًا على رسالته جاء فيها بعد السلام والسؤال: "... أخبار طرفنا من فضل الله ساكنه، ولا حدث ما يوجب الإفادة سوى دوام الخير والعافية منطرف [هكذا] الأمطار ولله الحمد غزيرة جانا أمطار متتابعة، وكل من جا من [هكذا] الجهات يذكر الأمطار ويعظمها نرجو الله تتابع كل خير، ويعم به أوطان المسلمين، وينزل فيه البركة آمين. هذا ما لزم تعريفه، بلغ السلام الأخ إبراهيم والإخوان، ومنا الوالد الإمام والعيال يسلمون... ودمتم محروسين"، ثم ختمت الرسالة بخاتم الملك عبدالعزيز(٣٧). وتؤكد هذه الوثيقة عمق العلاقة بين الجانبين والثقة المتبادلة.

كان للشيخ بن بليهد مراسلات مع الملك عبدالعزيز في تلك الفترة، الهدف منها السلام والاطمئنان، ومتابعة الأوضاع

---

(٣٥) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص٢٥٦؛ العثيمين، عبدالله بن صالح، تاريخ المملكة العربية السعودية، طبعة الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص١٧٢.

(٣٦) مصدر سبق ذكره، ج٣، ص١٤١.

(٣٧) وثيقة رقم (١) مصورة من دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق من ورقة واحدة، ضمن المجموعة ذات الرقم (١٤٠٣).

خامساً: جهود الشيخ عبدالله بن بليهد خلال رئاسته القضاء في الحجاز

تعد استعادة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - للحجاز في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م ذات أهمية بالغة له، إلى جانب مسائل أخرى كانت لها الأهمية نفسها.

والظاهر من خلال ما ورد في بعض المصادر أن علاقة الشيخ ابن بليهد بدأت مع الملك عبدالعزيز بشكل مباشر بعد استعادة الحجاز، إذ التقى الملك عبدالعزيز في حج عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م(٣٨)؛ فأعجب بعلمه، وقوة حجته، وسرعة بديهته؛ فأصدر الملك عبدالعزيز أمراً بنقل الشيخ من قضاء حائل، وتعيينه رئيساً للقضاة في منطقة الحجاز، فباشر الشيخ عمله بدءاً من يوم الخميس ١٤/١٢/١٣٤٤هـ - ٧/٧/١٩٢٥م(٣٩).

ويذكر الشيخ عبدالله البسام أن تولية الملك عبدالعزيز للشيخ ابن بليهد قضاء حائل ثم الحجاز بعد دخوله يدل على أمرين:

١ - معرفة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - للرجال، وحسن اختياره لهم.

٢ - المميزات العديدة التي تميز بها الشيخ ابن بليهد، فبالإضافة إلى العلم جمع الشيخ بين العقل والحكمة وحسن السياسة، وهذا ما يحتاجه سكان هاتين المنطقتين بعد أن استعادهما الملك عبدالعزيز، فهم محتاجون إلى ملاطفة وتأليف وطمأنة، لا سيما وأنهم لم يألفوا الحكم الجديد، ولا يعرفون حقيقته، ويتوجسون منه خيفة بسبب الدعاية المشوهة، فهم في حاجة إلى رجل له

---

(٣٨) صحيفة أم القرى، العدد ٢٧، بتاريخ ٥/١٢/١٣٤٣هـ، ص٣.

(٣٩) صحيفة أم القرى، العدد ٣٦، بتاريخ ١٥/٢/١٣٤٣هـ، ص٣؛ ابن حمدان، سليمان، تراجم لمتأخري الحنابلة، تحقيق بكر أبو زيد، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٩٣.

دراية وسياسة وحنكة، ليطمئنهم إلى الحكم الجديد(٤٠)، ويعرفهم بحقيقة الدعوة السلفية، فكان هذا الاختيار موفقاً في شخص الشيخ عبدالله بن بليهد.

٣ - يضاف إلى ما سبق أن الملك عبدالعزيز اختار الشيخ ابن بليهد لرئاسة قضاء الحجاز بعد نجاحه في عمله في منطقة حائل والمناطق التابعة لها.

ويمكن تقسيم الأعمال التي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهد خلال رئاسته قضاء الحجاز إلى ما يأتي:

١ - في مجال القضاء

منذ باشر الشيخ عبدالله بن بليهد عمله في رئاسة القضاء في مكة المكرمة شرع في تنظيم أعماله، وتعيين القضاة والكتاب، ووضع لائحة مؤقتة للمحاكم الشرعية، وذلك في شعبان ١٣٤٤هـ/ فبراير ١٩٢٦م.

وهذا بيان بالوظائف وأسماء القائمين عليها في رئاسة القضاء: الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيساً للقضاء، والشيخ محمد أمين فودة وكيلاً للرئيس، وأحمد بن إبراهيم الغزاوي رئيساً لكتاب ديوان رئاسة القضاء، والشيخ محمد بن علي التويجري كاتباً للفتوى، والشيخ بكر بن عبدالله كمال كاتباً ثانياً للفتوى، والسيد حسن داغستاني كاتباً لديوان رئاسة القضاء، والشيخ محمد بن سالم عجيمي كاتباً ثانياً لديوان رئاسة القضاء، وثلاثة آخرين أحدهم مراسلاً، والثاني مستخدماً، والثالث بواباً(٤١).

أما فيما يتعلق بمحكمة مكة المكرمة؛ فقد أصدر الشيخ عبدالله بن بليهد تنظيماً لها على النحو الآتي:

---

(٤٠) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٣، ص١٤٢.

(٤١) صحيفة أم القرى، العدد ٦٤، بتاريخ ١٣٤٤/٩/٥هـ، ص٣.

الشيخ محمد المرزوقي قاضياً للمحكمة، والشيخ السيد عباس مالكي نائباً له، الشيخان أحمد بن ناصر شافعي وحسين عبد الغني نائبان آخران، والسيد مرزوقي كتبي رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية، ويعاونه في ذلك السيد إبراهيم زواوي، وولي الشيخ عرابي سجيني وكيلاً لبيت المال، هذا بالإضافة إلى عدد من كتاب الضبط والمحضرين والمستخدمين(٤٢).

وأصدر الشيخ عبدالله بن بليهد لائحة مؤقتة للمحاكم الشرعية في الحجاز تتكون من خمس عشرة مادة وهي على النحو الآتي(٤٣):

المادة الأولى: كل دعوى تقدم أولا إلى الرئيس؛ ليجري عليها ما يلزم من تحويل وغيره.

المادة الثانية: يقيد في دائرة رئيس القضاة في دفتر خاص اسم المدعي والمدعى عليه، والمدعى به، وتاريخ قيد الدعوى ومنتهاها.

المادة الثالثة: يجري التفتيش اللازم من حضرة الرئيس والقاضي في كل شهر مرتين.

المادة الرابعة: الإفتاء فيما يرجع إلى المحاكمة ممنوع.

المادة الخامسة: تعقد جلسة كل يوم بعد العصر للنظر فيما تم في ذلك اليوم، وأعضاؤها الرئيس والقاضي والنواب.

المادة السادسة: يخصص لكل نائب محل، ومع كل نائب كاتب يكتب في دفتره ملخص الدعوى، والجواب تحت إمضاء المدعى عليه، وذلك بعد سماع الدعوى والجواب مشافهة، والسؤال عنه اختصاراً للعمل، وحذراً من التطويل المؤدي إلى الخلل.

المادة السابعة: يلزم لكل نائب مستودع يضع فيه ما يلزم من أوراق وغيرها.

---

(٤٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

المادة الثامنة: تخصص غرفة لكاتب التعزيزات.

المادة التاسعة: يحضر معتمدات الكتب من المذاهب الأربعة لمراجعة ما يلزم.

المادة العاشرة: مدة النظر في القضايا يوميا خمس ساعات، ثلاث منها قبل الظهر، وثنتان بعده(٤٤).

المادة الحادية عشرة: ما دام الترافع بين المتخاصمين فلا يسوغ دخول غيرهما إلى مجلس الحكم إلا بإذن، ويكون دخول الخصوم إلى الحاكم بحسب الترتيب الأول فالأول، وتجب المساواة بين الخصمين في الدخول والجلوس واللفظ واللحظ.

المادة الثانية عشرة: يوقف العمل قبل أذاني الظهر والعصر بعشر دقائق؛ ليتهيأ لأداء الصلاة جميع موظفي المحكمة مع الإمام الأول.

المادة الثالثة عشرة: تعيين مستودعات كافية يوضع فيها ما هو تحت نظارة مأمور بيت المال.

المادة الرابعة عشرة: حال انتهاء المرافعة، وصدور الحكم يعجل الكاتب المباشر لتلك المعاملة بإخراج الصك بها، وعرضه على مرجعه بأسرع مدة لإتمام معاملته، ولا تسلم الصكوك لأربابها إلا أمام القاضي أو نوابه.

المادة الخامسة عشرة: حيث إن الحكومة قد أعلنت منع الرشوة، وعقاب الراشين والمرتشين، فكل من ينسب إلى أحد الموظفين شيئاً من ذلك افتراء يعاقب عليه عقاباً صارماً؛ حتى يسد بذلك باب التهم على الموظفين(٤٥).

وفي رسالة وجهها الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله بن بليهد مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤هـ ردًا على رسالة بعثها الأخير مع أخيه حمد إلى الملك عبدالعزيز أثنى فيها على الجهود التي قام بها الشيخ

---

(٤٤) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

في عمله، وأبدى موافقته على التنظيمات القضائية والتعيينات، فقال: "... ومن قبل ورقة تشكيلات المحكمة الشرعية صدقنا عليها، وهذا هي [هكذا] واصلتكم كذلك ورقة تعيين نائب الحرم الشريف أيضاً صدقنا عليها وهي واصلتكم بطيه..."(٤٦).

وعلى أي حال فإن هذه التنظيمات واللوائح التي أصدرها الشيخ عبدالله بن بليهد أصبحت فيما بعد أساساً مهماً قامت عليه الأنظمة القضائية في المملكة العربية السعودية.

٢ - جهوده في تنظيم شؤون الحرمين

تؤكد الوثائق على أن الشيخ عبدالله بن بليهد أصبح هو المسؤول الأول عن شؤون الحرمين في تلك الفترة التي تولى فيها قضاء الحجاز؛ غير أنه لم يتول الإمامة فيهما.

وقد أسهم في تنظيم الشؤون العلمية والإدارية للحرمين، ثم صدر الأمر الملكي بتشكيل هيئة علمية للإشراف على الدروس التي تعقد في الحرم المكي الشريف، وانتقاء الكتب التي تدرس، وتعيين المدرسين الأكفاء، وقد نص الأمر الملكي على ما يأتي(٤٧):

١ - تؤلف لجنة علمية برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن بليهد، وعضوية فضيلة مدير المعارف العمومية الشيخ محمد كامل القصاب، ومدير المعهد الإسلامي السعودي الشيخ بهجت البيطار، ومدير معهد الفلاح الشيخ عبدالله حمدوه السناري، ونائب رئيس القضاة الشيخ أمين فودة.

٢ - تكون وظيفة هذه الهيئة الإشراف على سير الدروس في الحرم المكي؛ وانتقاء الكتب النافعة، وتعيين الأساتذة المشهود لهم

---

(٤٦) وثيقة رقم (٢) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤ من ورقة واحدة.

(٤٧) صحيفة أم القرى، العدد ٩٧، بتاريخ ١٥ /١٣٤٥/٤هـ، ص١.

بالكفاءة وحسن السيرة، والسير على طريقة السلف الصالح.

٣ - تجتمع هذه الهيئة كل خمسة عشر يوماً مرة واحدة، وتجتمع أيضاً كلما اقتضت الحاجة ذلك.

٤ - للهيئة العلمية تغيير مادة من هذه المواد أو تقديمها أو الزيادة عليها بعد تصديق الملك عليها.

والظاهر أن الشيخ عبدالله بن بليهد أسهم في إعداد نظام التدريس العام في المسجد الحرام، إذ يلحظ أنه ركّز على نشر العقيدة السلفية الصحيحة، وتقرر فيه تدريس فقه المذاهب الأربعة والعلوم العربية في الصباح والمساء، إضافة إلى عقد دروس في التوحيد والتفسير والحديث، والوعظ بين صلاتي المغرب والعشاء(٤٨).

وقد أكد هذا النظام على المدرسين بأن يبدؤوا دروسهم بتقرير العقائد ومباحث الصفات، ومذهب السلف الذي أجمع عليه أئمة أهل السنة على أنه أسلم المذاهب وأحراها بالقبول، كما طلب من المدرسين أن يبينوا للناس أثناء دروسهم أنواع البدع والخرافات التي أضرت بالمسلمين، وشوهت تعاليم دينهم، كما حدد النظام مدة الدرس ساعة على الأقل، وأكد أن عليهم عدم الانقطاع عن الدرس، ولا يجوز لأحدهم أن يتخلف إلا بعذر شرعي، وأن من يخل بشيء من هذه المواد فللهيئة أن تقرر في شأنه ما تراه(٤٩).

وبما أن الشيخ عبدالله بن بليهد أصبح هو المسؤول عن تنظيم شؤون الحرمين، وبما أن المسعى كان في تلك الفترة منفصلاً عن الحرم المكي والدكاكين تحيط به من كل جانب، إضافة إلى وجود الكلاب الضالة التي تؤذي الساعين، فقد سئل عن وضعه؛ فأوضح

---

(٤٨) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤٩) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

الشيخ أن المسعى في الأصل كان عرضه واسعاً، ولكن الناس بدؤوا يغتصبون أرضه شيئاً فشيئاً حتى ضاق، وصار عرضه بهذا المقدار الموجود، وأكد على وجوب إزالة هذا الاغتصاب، وهدم الدكاكين المحيطة به، ومنع دخول الكلاب فيه حتى يصبح خاصاً بالسعي، وبيّن أنه بصدد عرض هذا الموضوع على المؤتمر الإسلامي(٥٠).

وفيما يتعلق بنوم الحجاج في المسجد الحرام وما يجلبونه معهم إليه من مأكولات قد تكون متعفنة، قال الشيخ: "إن الواجب منع اتخاذ الحرم محلاً لتناول الطعام، أما النوم فإننا لا نمنعه إلا إذا ترتب عليه مفسدة"، ولما قال حافظ وهبة للشيخ: إن نوم الحجاج في موسم الحج بالحرم ترتب عليه ضرر، قال الشيخ: "إذن يمكن منع النوم في أثناء موسم الحج دفعاً للضرر المترتب عليه"(٥١).

وكان للشيخ عبدالله بن بليهد دروس منتظمة بالمسجد الحرام عند باب السلام، يحضر إليه - إضافة إلى طلاب العلم والعامة - بعض رجالات الدولة، درّس فيها فنون العلم المختلفة. وفي موسم الحج يلتقي - عادة - علماء العالم الإسلامي يتشاور معهم في بعض المسائل العلمية(٥٢).

وخلال زيارات الشيخ عبدالله إلى المدينة النبوية في فترة رئاسته للقضاء في الحجاز كان يعقد دروساً علمية في المسجد النبوي، ويلتقي هناك عامة الناس، ويجيب على أسئلتهم، ويحاورهم في بعض القضايا المعاصرة لتلك الفترة(٥٣).

---

(٥٠) المصدر نفسه، العدد ٨٩، بتاريخ ١٣٤٥/٢/١٨هـ، ص٤.

(٥١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٥٢) أبو سليمان، عبدالوهاب بن إبراهيم، باب السلام في المسجد الحرام ودور مكتباته في النهضة العلمية والأدبية الحديثة، ط١، د. ن، د. م، د. ت، ص١٩٨.

(٥٣) أسد، محمد، الطريق إلى الإسلام، ترجمة عفيف البعلبكي، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٠٧.

٣ - أعماله في الدعوة والإصلاح

بعد أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز كان فيها بعض القبور التي يعظمها بعض جهلاء الناس، لا سيما في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ففي البقيع قبور لكبار الصحابة والتابعين كالخليفة عثمان بن عفان، والعباس عم النبي ﷺ، وقبور أمهات المؤمنين، وصحابة آخرين رضوان الله عليهم، إضافة إلى أئمة آل البيت، كالحسن بن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد وغيرهم، وقد صنع بعض الجهال لقبور هؤلاء الأربعة أضرحة كبيرة تشبه الأضرحة الموجودة في بعض البلاد الإسلامية، واعتاد الجهال أن يزوروا هذه الأضرحة؛ فيقبلونها، ويتبركون بها، ويصلون عندها على نحو ما كانوا يفعلونه عند الأضرحة الموجودة في بلادهم(٥٤)، هذا إضافة إلى ما يفعله بعض المبتدعة من أمور تخالف مبادئ الإسلام.

وبعد دخول الملك عبدالعزيز الحجاز ظلت هذه القباب على حالها ما يقارب أربعة أشهر إلى أن بدأ التذمر واضحاً لدى الإخوان من بقائها على هذا النحو(٥٥)، ولعل الملك عبدالعزيز أراد في البداية عدم الاستعجال في إزالتها رغبة في تأليف قلوب من يقصدها بالتعظيم، حتى تستقر العقيدة الصحيحة في نفوسهم أولا، ثم يتم بعد ذلك هدمها، خشية من أن الأمر قد يأتي بنتيجة عكسية، وهذه في الواقع سياسة حكيمة تعتمد على القاعدة الأصولية: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

ولهذا قرر الملك عبدالعزيز هدم هذه القباب، فأناط هذه المهمة بالشيخ عبدالله بن بليهد، ففي السابع عشر من رمضان ١٣٤٤هـ/إبريل ١٩٢٦م بعث الملك عبدالعزيز رسالة إلى الشيخ

---

(٥٤) الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. ط، د. ن، بغداد، ١٩٧٦م، ج٦، ص٣٠٥.

(٥٥) المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

عبدالله بن بليهد يأمره فيها بالعمل على هدم القباب التي على القبور، ومساواتها بالأرض فقال له بعد السلام(٥٦): "كذلك سلمك الله تحرصون إن شاء الله على مسئلة [مسألة] هدم القباب جميع قبة تهدم حتى تواسا [تساوى] بالأرض ومن تعيّدون وأنتم مباشرين ذلك وأنت محل الروح ولا تحتاجون توصية بذلك فقط أدام الله وجودكم تحرصون لا يترك شيء من ها لقباب كلها تهدم مرة واحدة لا بعد يصير لنا فيها عوادة رأس [أي رأي آخر] خلوا أمرها يصير واحد..."(٥٧).

ومهما يكن الأمر فقد كانت مهمة الشيخ عبدالله ليست سهلة، فبعض العامة والمبتدعة ألفوا زيارة تلك القباب والأضرحة، وشاهدوا بعض الوفود من خارج شبه الجزيرة العربية يأتون لزيارتها وتعظيمها، ويقومون بالتوسل بأصحابها لقضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، ويدعونهم بدعاء لا يجوز صرفه إلا لله عز وجل.

وبناء على ذلك اتخذ الشيخ أسلوباً حكيماً في القضاء عليها، فاتخذ من المحاورة منهجاً له، خاصة مع علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ حتى يكونوا على بينة من الأمر، فإن لم يكونوا معه فلا يعارضونه على الأقل في إزالة تلك القباب، فأراد الشيخ عبدالله أن يزيل هذه المخالفات من العقول قبل أن يزيلها بوصفها أبنية موجودة على القبور.

ففي الاجتماع الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م بين العلماء ألقى الشيخ عبدالله بن بليهد بصفته أحد العلماء، ورئيس القضاة في الحجاز كلمة مطولة بيّن فيها أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة، وأقسام التوحيد، ومنهج أهل السنة والجماعة في الأسماء

---

(٥٦) هذه الرسالة أوردتها بأسلوبها الذي كتبت به.

(٥٧) وثيقة رقم (٣) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ١٧ رمضان ١٣٤٤هـ، من ورقة واحدة.

والصفات، وأكد أن دعاء الأموات وطلب الشفاعة منهم شرك(٥٨)، وأن الله جل وعلا هو الذي يملك الشفاعة، ولذا يجب ألاَّ تطلب إلا منه سبحانه كأن يقال: اللهم لا تحرمنا شفاعة نبيك أو شفعه فينا أو نحو ذلك(٥٩).

وتناول الشيخ في خطابه ذلك البناء على القبور وتعظيمها، وإيقاد السرج عليها، وعبادة الله عندها بالصلاة وغيرها، فذكر أن ذلك محرم لما ورد عن النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، إضافة إلى حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه ﷺ بعثه لهدم القبور المشرفة، وقال: "لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته"، ثم بيّن الشيخ أنواع زيارة القبور، وأرجع الشيخ أسباب وجود هذه المخالفات العقدية إلى غلبة الجهل وخفاء العلم وبعد العهد بإرشاد النبوة(٦٠).

وكتب الشيخ عبدالله بن بليهد رسالة إلى العلماء والعامة نشرتها صحيفة أم القرى(٦١) دعا فيها العلماء إلى تنبيه الغافل، وإرشاد الجاهل، وأن يبينوا للناس ما علّمهم الله، وطلب من المسلمين أن يرجعوا إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة وقادتها وأئمتها في الدين والاعتقاد والعمل والسيرة؛ لتصلح الأمور في العاجل والآجل، وليكون الناس عبيداًلله حقيقة لا عبيد أهواء وأغراض، وأكد تحريم البناء على القبور، واتخاذها مساجد، ثم تطرق الشيخ إلى الخلاف في الفروع، وفي المسائل التي تقبل الاجتهاد، فأكد أن الخلاف في مثل هذه المسائل موجود، وأنه ناشئ عن اجتهاد المجتهدين في أدلة الشرع

---

(٥٨) صحيفة أم القرى، عدد ٣٩، بتاريخ ٧ /٣/١٣٤٤هـ، ص٤.

(٥٩) صحيفة أم القرى، عدد ٤٠ بتاريخ ١٤ /٣/١٣٤٤هـ، ص٤.

(٦٠) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦١) في أعدادها ٥٧، ٥٨ رجب ١٣٤٤هـ.

حسب ما أدى إليه اجتهادهم، وأن ذلك لا يوجب تفريقاً ولا اختلافاً، لا سيما إذا كانت الأصول واحدة، ثم دعا رجال الإصلاح في هذه الأمة إلى أن يشاطروه في الدعوة إلى الله، ويعيدوا لهذه الأمة سيرتها الأولى، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها(٦٢).

وفي الثلث الأول من شهر رمضان من عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م سافر الشيخ عبدالله بن بليهد إلى المدينة النبوية لزيارة المسجد النبوي، والنظر في بعض المسائل الدينية والقضائية هناك(٦٣).

وفور وصوله إلى المدينة اجتمع الشيخ بعلمائها، وتباحث معهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم بعض الأسئلة المكتوبة والتي جاء فيها: "ما قول علماء المدينة المنورة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا؟، وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وإذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم من استحقاقهم أم لا؟ وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟ وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها، وتقبيلها، والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف من الترحيم، والتذكير بين الأذان والإقامة، وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا؟ أفتونا مأجورين، وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين؟"(٦٤)، ومن هنا يتبين أن الشيخ حصر المسائل التي يرى

---

(٦٢) وثيقة رقم (٤) مصورة من دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق، محفوظة برقم ٧٥ غير مؤرخة من ٧ ورقات.

(٦٣) صحيفة أم القرى، العدد ٦٥، بتاريخ ١٢ /١٣٤٤/٩هـ، ص٣٠.

(٦٤) صحيفة أم القرى، عدد ٦٩، بتاريخ ١٧ /١٣٤٤/١٠هـ، ص١.

عدم مشروعيتها بل تحريمها، والتي كانت موجودة في المدينة النبوية آنذاك، ليعرف هل هي تحظى بتأييد أو رضا علماء المدينة؛ ليكون موقفه منها مبنياً على فهم دقيق للواقع، وهذه سياسة حكيمة منه، خففت إلى حد بعيد ردود الفعل المتوقعة تجاه إزالة تلك المخالفات.

وأراد الشيخ ألاّ يشرع بإزالة تلك المخالفات إلا بعد أن يعرف موقف علماء المدينة منها، ذلك أنهم إذا وافقوه على أنها مخالفات تجب إزالتها كان ذلك مما يسهل مهمته، ولتحظى تلك المهمة برضا العامة أو على الأقل عدم معارضتها.

وعلى أي حال فقد أقر علماء المدينة في جوابهم على هذه الأسئلة بأن ما ذكر مخالف لما جاء في الكتاب والسنة، ولما عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، فقالوا: "أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه؛ ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لأبي الهياج: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته"، رواه مسلم. وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقاً، وإيقاد السرج عليها ممنوع أيضا لحديث ابن عباس: "لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" رواه أهل السنن، وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها، والتقرب لها بالذبح، والنذر، ودعاء أهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعاً لا يجوز فعله أصلاً، وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة، وأما الطواف بها، والتمسح بها، وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً، وأما ما يفعل من التذكير، والترحيم، والتسليم في الأوقات المذكورة فهو

محدث، هذا ما وصل إليه فهمنا السقيم، وفوق كل ذي علم عليم ٢٥ رمضان سنة ١٣٤٤هـ"(٦٥). ويبدو أن هذه الأسئلة وإجاباتها نشرت بين سكان المدينة النبوية، كما نشرتها صحيفة أم القرى، وبذلك أصبح الوقت مناسباً لإزالة تلك المخالفات؛ فتم ذلك في يوم ٨ شوال من عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م.

وقد لقيت جهود الشيخ عبدالله بن بليهد تأييداً كاملاً من الملك عبدالعزيز فقال في رسالة إلى الشيخ مؤرخة في ١٢ شوال ١٣٤٤هـ: "... أمس جانا تيل [برقية] من إبراهيم السالم مضمونه أنكم باشرتم العمل بهدم القباب، وأن العمل جاري في ذلك لابد إنشاء الله تم العمل ولا بقيتو شيء [أي أبقيتم]. والإفادة قادمة منكم لنا بذلك الله يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم..."(٦٦)، وتؤكد هذه الرسالة حرص الملك عبدالعزيز على إزالة تلك القباب والمخالفات، ومتابعة جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في القضاء عليها.

إلا أنه في الوقت نفسه كانت هناك ردود فعل معارضة لتلك الجهود عبّر عنها الشيخ عبدالله بن بليهد بقوله: "كنت لما قدمت المدينة المنورة في رمضان سنة ١٣٤٤هـ وجهت إلى علمائها سؤالاً تضمن مسائل... فكتبوا جواباً مطابقاً للسؤال جار على الأصول الشرعية والقوانين المرعية من ذكر الحكم بدليله، فلما ظهر العمل بموجبه قام ناس لذلك وقعدوا وضجوا وعجوا، وصالوا وقالوا وحرروا بذلك مقالات ..."(٦٧)، ثم ذكر الشيخ عدداً منهم، وأشار إلى أن ما كتبوه غير معتمد على دليل من كتاب ولا سنة، ولا مستند إلى مذهب إمام متبع.

---

(٦٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص ص٣٠٥- ٣٠٦.

(٦٦) وثيقة رقم (٥)، مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في عام ١٣٤٤هـ، من ورقة واحدة.

(٦٧) صحيفة أم القرى، عدد ١٠٤، بتاريخ ٤ /١٣٤٥/٦هـ، ص١.

والواقع أن هذه المعارضة لتلك الجهود التي قام بها الشيخ عبدالله بن بليهد لم تكن تستند على أسس علمية معروفة، بل كانت دوافع هذه المعارضة سياسية اتخذت من الدين ستاراً لها.

وفي لقاء صحفي مع الأستاذ أمين بك الرافعي نشرته جريدة السياسة دافع الشيخ عبدالله بن بليهد عن عقيدة أتباع الدعوة الإصلاحية، وذكر أن السلفيين على المذهب الحنبلي، فهم سلفيون في المعتقد حنابلة في المذهب؛ وفند تسميتهم بالوهابية، وذكر أنها من عمل خصومهم الذين أرادوا تنفير الناس منهم؛ بإيهامهم أن هذا مذهب جديد يخالف المذاهب الأربعة، وأشار إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أحد علماء نجد الذين اتصلوا بآل سعود فصار له قبول عندهم، وأكد أن مذهب السلفيين فيما يتعلق بالصفات هو مذهب أهل السنة والجماعة، فاستواء الله على العرش مثلاً لا نؤوله بأنه الاستيلاء أو القهر كما يرى البعض، وإنما نسلم به كما هو؛ عاملين بمذهب الأئمة الذي لخصه الإمام مالك بقوله: "الاستواء معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، فالكلام في الصفات فرع من الكلام في الذات وهذا ممنوع. وفيما يتعلق بالتوحيد العملي بيّن الشيخ عبدالله بن بليهد أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن العبادة حق لله تعالى دون سواه؛ فلا يجوز صرف شيء منها لغيره كائناً من كان، لا لملك، ولا لنبي، ولا لولي، ولا لغيرهم، فمن سوَّى بين الله تعالى وأحد المخلوقين في أي نوع من أنواع العبادات كان عمله شركاً(٦٨).

وفيما يتعلق بالتوسل بالأنبياء والأولياء أوضح الشيخ عبدالله بن بليهد أن الذي يتوسل مبتدع وليس مشركًا، وأهل السنة والجماعة يمنعون ذلك ويعدونه منكراً، أما الوسيلة بالعبادات، وهل تصل إلى الميت فيقول الشيخ: إن هناك خلافاً بين العلماء؛ لأن العبادات ثلاثة

---

(٦٨) صحيفة أم القرى، العدد ٨٨، بتاريخ ١١/٢/١٣٤٥هـ ص٣.

أنواع: بدنية، ومالية، ومركبة منهما، فالعبادات البدنية كالصلاة والتلاوة والذكر والدعاء، يرى بعض العلماء أن ثوابها لا يصل إلى الميت، بينما يرى العلماء السلفيون - كما يقول الشيخ عبدالله - أنها تصل إلى الميت عملاً بقول بعض فقهاء الحنابلة: "كل قربة فعلها العبد، وأهدى ثوابها إلى الميت تصل إليه"، أما التلاوة والذكر والدعاء إضافة إلى العبادات المالية كالصدقة والعبادات المركبة منهما كالحج فإنها تصل(٦٩).

وانتقل بعد ذلك الأستاذ أمين الرافعي إلى سؤال الشيخ عبدالله بن بليهد عن مسألة ذات حساسية لدى بعض المسلمين، وهي زيارة القبور، فقسم الشيخ زيارة القبور إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: زيارة شرعية، وهي التي يقصد من ورائها تذكر الآخرة، والإحسان إلى الميت بالدعاء له، كما أن فيها إحساناً إلى الزائر نفسه، وهي سنة.

ثانياً: الزيارة البدعية، وهي التي تقصد منها عبادة الله عند القبور بالصلاة ونحوها، بحيث يعتقد أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله.

ثالثاً: الزيارة الشركية، وهي التي يقصد منها دعاء الموتى لقضاء الحاجات وتفريج الكربات(٧٠).

وسئل الشيخ بعد ذلك عن رأيه في بناء القبور والبناء عليها، فذكر أن بناء القبور نفسها لا يجوز فيها أكثر من شبر، واختلف العلماء أن يكون مسطحاً أو مسنماً، وبيّن أنه لا يجوز تجصيصها ولا الكتابة عليها، وإنما يجوز وضع حجر عليها لتمييزها، وأما البناء على القبور فإنه ممنوع؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه، وأكد على أنه لا تجوز الصلاة في مسجد أقيم على قبر(٧١).

---

(٦٩) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٧٠) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٧١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

ومهما يكن الأمر فقد نجح الشيخ عبدالله بن بليهد في إقناع المؤيدين لوجود مثل هذه القباب والمساجد من خلال طرحه لعدد من الثوابت والمسلمات التي لا يخالف فيها أحد من أهل السنة والجماعة، وتأكيده على أن هذه الأمور من المحدثات في الدين والتي لم تظهر إلا في القرون المتأخرة، وهو مع ذلك لم يفرض هذه القناعات والمسلمات، وإنما سأل عنها سؤال العالم الداعي إلى التفكر والتأمل، وإعادة قراءة النصوص الشرعية، والنظر في هذه المخالفات، وإرجاعها إلى الأدلة، واستنباط الأحكام من جديد، وهذا ما نجح فيه الشيخ نجاحا باهرا.

والواقع أن جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في الدعوة إلى الله والإفتاء لم تكن مقتصرة على الحجاز أو شبه الجزيرة العربية فقط، بل كانت تأتيه أسئلة من الخارج، من ذلك ما ورد من بيروت وهو سؤال خاص بحجاب المرأة، وهو موضوع كان مثار جدل كبير في مصر في تلك الفترة، ونص السؤال: ما رأيكم في رفع الحجاب، وكشف المرأة وجهها وكفيها في الطرقات والمجتمعات العامة؟ فأجاب بقوله: "إن ذلك ممنوع خشية الفتنة لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾ [الأحزاب : ٥٩] ، ولحديث عائشة قالت: "كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها"، وإذا كان هذا في حالة الإحرام ففي غيرها أولى" (٧٢)، وتدل هذه الإجابة على عمق علم الشيخ، وعلى انتشار صيته في العالم الإسلامي، وعلى الثقل الذي كانت تمثله مكة المكرمة في تلك الفترة.

---

(٧٢) صحيفة أم القرى، العدد ٨٩، بتاريخ ١٣٤٥/٢/١٨هـ، ص٤.

٤ - مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي الأول المنعقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م

بعد أن دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وخلال حصاره لجدة أرسل إلى قادة العالم الإسلامي، وزعماء الجمعيات والمنظمات الإسلامية رسائل يدعوهم فيها إلى إرسال مندوبين عنهم؛ وكان ذلك في ١١ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ، أواخر أكتوبر ١٩٢٥م، ومضى شهران على توجيه الدعوة، ولم يتلق الملك عبدالعزيز جوابا عليها من أحد إلا جمعية الخلافة في الهند(٧٣).

وبعد أشهر قليلة قرر الملك عبدالعزيز عقد المؤتمر الإسلامي الأول في مكة المكرمة شريطة ألا يتعرض المؤتمر إلى مسائل لا طائل من وراء بحثها، وبناء على ذلك أرسلت الدعوات إلى الحكومات والجمعيات الإسلامية، وحدد يوم ٢٠ من ذي القعدة من عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م موعداً لبدء المؤتمر(٧٤).

وقد استجاب للدعوة ممثلون من مختلف الأقطار الإسلامية ما عدا دولتين، كما قدم وفد جمعية الخلافة الإسلامية في الهند برئاسة الأخوان محمد علي وشوكت علي، إضافة إلى ضياء الدين فريد؛ لتمثيل مسلمي الاتحاد السوفيتي، وقد مثل الملك عبدالعزيز في هذا المؤتمر الشيخ عبدالله بن بليهد بصفته رئيس الوفد السعودي(٧٥)، إضافة إلى حافظ وهبة، ويوسف ياسين، وعبدالله الدملوجي، وحمد الخطيب(٧٦).

---

(٧٣) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج٢، ص٦٦١-٦٦٢.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٢٦٠.

(٧٥) وثيقة رقم (٦) من وثائق المؤتمر الإسلامي العام، مختومة ومؤرخة في ٢٥ ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ من ورقة واحدة.

(٧٦) قس، محمد علي، صحيفة موجزة بأعمال مؤتمر العالم الإسلامي الأول بمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ، د. ط، مطبعة نهضة الشرق، الإسكندرية، صفر ١٣٤٥هـ، ص٤٢؛ علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣١٤.

وافتتح الملك عبدالعزيز المؤتمر بكلمة ضافية في يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، وعقد المؤتمر عشرين اجتماعاً عقد خلالها ثمان عشرة جلسة منذ افتتاحه حتى اختتامه في يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م(٧٧).

وخلال المؤتمر منح الملك عبدالعزيز الحرية المطلقة في المداولات إلا ما يتعلق بالسياسة الدولية، والخلافات بين الشعوب الإسلامية، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصغ إلى راعي المؤتمر، وحاولوا إثارة قضايا سياسية لم تكن هناك حاجة إلى بحثها في تلك الفترة(٧٨)، خاصة وأن أمرها قد حُسم، ويبدو ذلك جلياً مما قام به محمد علي وأخوه شوكت علي رئيس جمعية الخلافة في الهند الذين أصروا على مناقشة أمور لا طائل من مناقشتها(٧٩).

وعلى أي حال فقد تحامل أعضاء جمعية الخلافة في الهند على الملك عبدالعزيز، وذلك على لسان محمد علي وأخوه شوكت، وبعد ذلك تكلم الشيخ عبدالله بن بليهد بكلام بليغ بأسلوب لطيف مقنع رد فيه على هذه الدعاوى، وأبطل الحجج، وبيّن الحق؛ الأمر الذي جعل الوفود وكذلك الملك عبدالعزيز يشكرونه على ذلك(٨٠).

وقد نجح الشيخ في تمثيل الملك عبدالعزيز في هذا المؤتمر نجاحاً باهراً، وأصبح للشيخ علاقات متينة مع بعض من حضر هذا المؤتمر، فأصبح يتبادل معهم الرسائل(٨١). وهذا يدل على أن الشيخ جمع بين

---

(٧٧) محمد علي قس، مصدر سبق ذكره، ص٢٧.

(٧٨) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص٢٦١.

(٧٩) علي الوردي، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣١٨.

(٨٠) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٢.

(٨١) وثيقة رقم (٧) وهي رسالة من السيد محمد الغنيمي التفتازاني، شيخ السادة الغنيمية بالقاهرة، إلى الشيخ عبدالله بن بليهد، وهي مؤرخة في ٧ رمضان ١٣٥٤هـ ٣ ديسمبر ١٩٣٥م، ننقل جزءاً منها لبيان قدر الشيخ عبدالله بن بليهد،=

العلم والدهاء واللباقة ولين الجانب. والذي يظهر أن دراسة الشيخ في الهند خلال سفره للعلاج هناك أكسبته مرونة في التعامل مع مختلف الفئات دون تفريط في الأصول والمعتقدات، بل وربما كانت هذه المرونة سبباً من أسباب نجاحه في الدعوة إلى الله، وفي القيام بالمهام الموكلة إليه.

سادساً : جهود الشيخ عبدالله بن بليهد في توعية الإخوان

تبين المصادر التي استطعنا الحصول عليها أن للشيخ عبدالله بن بليهد جهوداً واضحة في نصح وتوجيه البادية عامة والإخوان بشكل خاص، لا سيما بعد أن رأى من بعضهم الشدة والغلظة في الإنكار باليد. كما أن الملك عبدالعزيز أخذ يستعين برأيه في التعامل معهم، منذ أن ظهرت منهم بوادر الشقاق.

والواقع أن الإخوان في بداية أمرهم كانوا قوة لا يستهان بها، وأسهموا بدرجة كبيرة في توحيد المناطق تحت راية الملك عبدالعزيز، إلا أن هؤلاء بدؤوا في النظر إلى الحاضرة وإلى من لم يستوطن الهجر من البادية نظرة غلو وشدة، ومن مظاهر ذلك الغلو إيقاف الناس ومساءلتهم عن أصول الدين وأحكامه، بل إن بعض غلاتهم

= يقول السيد محمد الغنيمي: "نشهد الله أن صورتكم لم تبرح مخيلتي، وإنني مدمن ذكركم والتحدث عنكم في كل زمان ومكان، ووالله ليس في ذلك علو ولا سرف، وإنما هي الحقيقة أقررها أحب من أحب وكره من كره إنك الفرد الذي أنست بلقائه بين رجال العلم في تلك الديار، وقد رأيتهم جميعاً وخبرتهم جميعاً، والله إنك لمن أكابر علماء المسلمين في العالم أجمع، ولو أنك أردت معرفة قدرك بين رجالات العلم في الدنيا، لاتصلت بعلماء أوروبا الذين يعرفون أقدار الرجال، وإني مؤمن [هكذا] أصحبك إلى أوربا، وأن أدنيك من جامعاتها ورجالاتها، لأنني سأصحب رجلاً أمده الله بالعرفان النافع بكل وسط، أنا والله يا مولانا قليل الثناء، أمقت المغالاة، وأكره الإسراف، ولكنني والله لا أكاد أملك لساني أو قلمي أو قلبي إن تحدثت عن [ابن بليهد] يتيمة الدهر وأعجوبة العصر، وبعد اغتنم هذه الفرصة لأقدم خالص تهنئتي بشهر الصيام... والتحية الخالصة من أعماق فؤادي إلى الإخوان... وسائر آل الشيخ ابن بليهد أحاطهم الله جميعاً بسياج حفظه في ظلكم الوارف...".

راحوا يشكون في إيمان غيرهم من الحاضرة والبادية، فحرموا ذبائحهم، وأباحوا الاعتداء عليهم. وقد تنبه الملك عبدالعزيز إلى خطورة هذا الفكر، وما قد يترتب عليه من عواقب وخيمة، فاستفتى العلماء، وأفتوه بأن ذلك الفكر وتلك النظرة لا تتفق مع أصول الدين، وكان ذلك في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٤م(٨٢). وقد أصدر هؤلاء العلماء منشوراً يتضمن نصحاً للإخوان بالاعتدال في نظرتهم للناس(٨٣). والذي يبدو أن الشيخ عبدالله بن بليهد قد شارك في هذا الاجتماع.

ومن المؤكد أن الملك عبدالعزيز قد اعتمد - بعد الله - على الشيخ عبدالله بن بليهد في أن يسهم - مع غيره من المسؤولين - في النصح والدعوة في منطقة حائل وما يتبعها من مناطق، في وقت تشهد فيه منطقة نجد بشكل عام نشاطاً واضحاً من بعض الإخوان في تنفيذ ما يعتقدونه واجباً، خاصة ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستعمالهم القوة لتنفيذ ذلك، يضاف إلى ذلك استنكارهم إدخال المخترعات الحديثة واستعمالها، وهذا ما دعا الشيخ عبدالله بن بليهد إلى أن يكتب نصيحة إلى الإخوان باسمه وباسم أمير حائل عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وذلك في وقت مبكر من توليهما أعمالهما في تلك المنطقة، ففي رسالة منهما مؤرخة في عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م قالا فيها بعد البسملة: "تفهمون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى من واجبات الدين، وأنه لا يستقيم إلا بذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فأمر سبحانه أن تكون أمة من الناس منتصبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى، فيدخل في ذلك نصب الإمام الذي تجب طاعته على عموم الناس، وبذلك يجب عليه نصب القضاة

---

(٨٢) العثيمين، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٢١١-٢١٢.

(٨٣) الوردي، مرجع سبق ذكره، ج٦، ص٣٢١.

والمفتين والمدرسين والدعاة إلى الله والأمراء والنواب؛ لتنفيذ الأوامر على ما توجبه الشريعة، والقائم بذلك يلزمه التقيد بأمر الشرع بحيث أنه يكون [هكذا] أمره ونهيه على علم، ويكون ذلك برفق ولين وعلم وحلم، وأما إثبات الحقوق وإقامتها فهذا يختص به الحاكم الشرعي، وينفذه الأمير بأمره، وليس لغيره مدخل فيه"، وذكرا في رسالتهما أن القضايا التي تحتاج إلى تأديب مما هو دون الحدود المقدرة شرعاً، فالذي يقوم بتأديبه الأمير أو النائب بحسب الحال والمصلحة، بالتهديد أو الضرب الذي لا يبلغ به أدنى الحدود، إلا إذا كان متمرداً، ويحتاج إلى تغليظ العقوبة فيرفع أمره إلى ولي الأمر(٨٤).

وانتقدا في رسالتهما ما يقوم به بعض الجهال من الاجتماع والسير بين الناس بغير إذن ولي الأمر، فيضربون ضرباً غير محدد لا يؤمن معه شج الرأس أو كسر العظم، أو ربما أدى إلى موت المضروب، وتلف عضو من أعضائه، وأكدا أن هذا مخالف للشرع، وأن من يفعل ذلك فهو معتد وظالم، وإن من نسب ذلك إلى الشريعة فهو جان عليها، ويجرى عليه حكم جنايته من دية أو قصاص وفق ما يقتضيه الشرع، وبينا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يختص به أحد دون أحد، بل كل يجب عليه ذلك بقدر مرتبته، وأما إقامة الحدود وما دون ذلك من الضرب والحبس فلا يفعله إلا الذي نصبه ولي الأمر، وأشارا إلى أن من يعارض الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يرفع أمره إليهما، فيرفعونه إلى ولي الأمر، لإيقاع العقوبة المناسبة له، وأن ذلك هو مقتضى الدعوة إلى الله على بصيرة وهي طريقة النبي ﷺ وأتباعه(٨٥).

وعلى أي حال فقد أتت هذه الرسالة أكلها بين من وجهت إليه، فقد بقيت تلك المناطق خاضعة للملك عبدالعزيز، ولم تظهر معارضة

---

(٨٤) وثيقة رقم (٨) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة عام ١٣٤٢هـ، من ورقتين.

(٨٥) المصدر نفسه.

من الإخوان هناك، ولعل ذلك راجع بفضل الله إلى حكمة الشيخ عبدالله بن بليهد في مجادلة هؤلاء بالتي هي أحسن، فكان يعقد معهم المناظرات، ويكرمهم، ويتلطف معهم في الحديث، ولا يغادرونه إلا بعد أن يكونوا قد عرفوا الحق، وأدركوا أن ما يحتجون به علي ولي الأمر ما هو إلا شبهة.

هذا إضافة إلى الجهود الكبيرة التي قام بها أمير المنطقة حينذاك الأمير عبدالعزيز بن مساعد، الذي قام بأعمال موفقة لعرقلة أية محاولة يقوم بها أنصار الإخوان المعارضين للملك عبدالعزيز في جهته للانضمام إلى أولئك المعارضين(٨٦).

ولم تقف جهود الشيخ عبدالله بن بليهد عند هذا الحد؛ فنراه في العام نفسه يكتب رسالة إلى الإخوان ينصحهم فيها بالحرص على العلم، وأنه أحوج للإنسان من الطعام والشراب، والسمع والطاعة لولاة الأمر، والنصح لهم ظاهراً وباطناً، وأن أمر دينهم ودنياهم لا يستقيم إلا بذلك كما قال النبي ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة"، وأشار إلى أن هاتين الكلمتين تجمعان سعادتي الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة؛ لمن تمسك بها، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيهما سعادة الدنيا، وبهما تنظيم مصالح العباد في معاشهم، وبهما يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، وبين الشيخ أن طاعة ولاة الأمر ينتج عنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، واستخراج الحقوق، ونصر المظلوم، وكف الظالم، وغير ذلك من الأمور، ثم ذكر الشيخ مقولة وردت عن بعض السلف: "لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بطاعة"، وختم رسالته بالدعاء للجميع بالتوفيق لما يحبه ويرضاه(٨٧).

---

(٨٦) المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة الدكتور عبدالله العثيمين، د. ط، د. ن، الدمام، ١٤٠٢هـ، ص١٢٩.

(٨٧) وثيقة رقم (٩) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في عام ١٣٤٢هـ، من ورقة واحدة.

ويلحظ في هذه الرسالة أن الشيخ أكد فيها على أن طاعة ولي الأمر - في غير معصية الله - جزء من طاعة الله ورسوله، وعدد فيها نتائج ذلك، وما يعود بسببه على الأمة من الخير، وقضاء مصالح العباد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولعل الشيخ قصد من وراء هذه الرسالة تعميق مفهوم طاعة ولي الأمر لدى الإخوان حتى لا يحصل ما لا تحمد عقباه.

وفي ٩ ذي الحجة من عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م كتب الشيخ عبدالله بن بليهد رسالة أخرى إلى الإخوان بعد أن رأى عليهم أمورًا عدة أدت إلى نتائج خطيرة فقال الشيخ في رسالته بعد المقدمة: "فالموجب للكتاب هو النصح لكم، والشفقة عليكم، وتنبيهكم على ما يدخل عليكم سبب الخلل في دينكم، من أمور تبلغنا عن ناس منكم يتكلمون فيها بغير علم، ويلزمون الناس القول بمقالتهم، ويقصدون بذلك الخير، والأمر كما قال بعض السلف: كم مريد للخير لن يصيبه. وسبب ذلك الإعراض عن العلم وإساءة الظن بمن يدل عليه، وإحسان الظن بأنفسهم، وقياس الأمور برأيهم، وهذا أمر خطير ومخوف، وضرره على الدين كبير كما في الحديث ثم يجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم؛ فينهدم الإسلام وينثلم، والمقصود التنبيه على الأمور التي حصل فيها الغلط فمن ذلك"(٨٨):

١ - أن كثيراً منهم يلزمون جميع البادية بالحكم على أنفسهم بالكفر، وكذلك من مات من آبائهم قبل أن ينتقلوا إلى الهجر التي بنيت لتعليم البادية أصول الدين. وقد بيّن الشيخ أن هذا العمل محرم، ولا يجوز لمن لا علم عنده أن يتكلم فيه فضلاً عن أن يراه واجبا عليه، وأنه لا يصح له دين إلا به، ويسمىّ المتوقف فيه مرتاب في دينه.

---

(٨٨) وثيقة رقم (١٠) مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، مؤرخة في ٩ ذي الحجة ١٣٤٢هـ، من ورقة واحدة.

٢ – أنهم يُنزلون البادية والحاضرة الذين لم ينتقلوا إلى الهجر منزلة تاركي الهجرة. وبيّن الشيخ أن الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام كما عرفها بذلك العلماء، وأكد أن تسمية من في بلاد الإسلام تارك للهجرة خطأ واضح.

٣ – ومن أخطائهم ضربهم الناس وسبهم، وتسميتهم ذلك أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. وقد أكد الشيخ لهم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، إلا أن القائم به عليه أن يتحلى بالعلم حتى يكون أمره ونهيه على موجب الشرع، وأن يميز بين ما يلزم آحاد الناس، وما يختص به ولاة الأمر من إقامة الحد المقدر في الشرع، والتعزيرات التي قد يدخلها الاجتهاد، وتختلف باختلاف الأحوال كما هو معروف عند أهل العلم.

٤ – ومن الأخطاء التي وقعوا بها التعرض لمن يقدم إلى بلاد المسلمين سواء أكان مهاجراً أو تاجراً أو رسولاً، ومن يسافر من بلدان المسلمين بإذن الإمام في حاجة المسلمين. وأشار الشيخ إلى أن التعرض لأحد من هؤلاء لا يجوز، وأن من أشكل عليه شيء من أمر دينه، فالواجب سؤال العلماء، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنبياء: ٧]، وطلب الشيخ من هؤلاء أن يرفعوا إلى ولاة الأمر الأمور التي تحتاج إلى تنفيذ(٨٩).

---

(٨٩) وثيقة سابقة رقم (١٠). وتجدر الإشارة هنا إلى أنه توجد نسخة أخرى لهذه الوثيقة تختلف عن سابقتها بأن عليها تعقيبات لثلاثة من كبار العلماء في زمانهم، فأثنوا على ما ذكره الشيخ ابن بليهد، وأكدوا أنه موافق للحق والصواب. منها تعليق للشيخ سليمان بن سحمان – رحمه الله – الذي قال: " وقفت على ما كتبه الأخ المكرم والفاضل المقدم الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، فلما تأملته إذا هو الحق والصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياب، وهو الذي نعتقده وندين الله به؛ لأنه ما خرج فيما كتبه عن مقتضى الكتاب والسنة، ولا ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، ولا ما عليه أهل التحقيق من العلماء الذين هم الأسوة وبهم القدوة، وهذه الأمور التي ذكرها الشيخ قد تحققناها، وبلغنا ما نسبت إليه =

ويلحظ هنا على هذه الرسائل ما يأتي:

١ - أن الشيخ صدّر رسائله بالدعاء، وبيان أن الموجب لكتابة هذه الرسائل هو النصح للمخاطبين والشفقة عليهم بأسلوب يفيض باللطف والليونة.

٢ - يبين الشيخ في هذه الرسائل أن الإخوان يريدون الخير بأعمالهم التي لحظها عليهم، وهذا إحسان الظن بالمخاطبين، وهو أسلوب حكيم أدعى لقبولهم النصيحة.

٣ - أكد الشيخ في هذه الرسائل على أهمية العلم حتى لا يقع المسلم في إثم وهو لا يدري.

٤ - برزت في هذه الرسائل قدرة الشيخ العلمية في مختلف مسائل العلم؛ فكانت نصائحه مبنية على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة.

٥ - كان الشيخ مدركاً لأهمية امتثال الناس عامة، والمخاطبين خاصة من الإخوان لولاة الأمور، حفاظاً على أمن البلاد والعباد.

وعلى الرغم من جهود العلماء والأمراء في مناصحة الإخوان في محاولة منهم لجمع الكلمة، إلا أن تلك المحاولات لم تلق قبولاً من بعض زعمائهم، ولذلك رأى الملك عبدالعزيز أن من الحكمة أن يعقد

= من هؤلاء الجهال المتمعلمين الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام وما عليه أئمة الإسلام، بل هي مما استحسنوه بآرائهم الفاسدة، وقاسوه بظنونهم وأفهامهم القاصرة". وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن: "وقفت على ما كتبه الشيخ الفاضل المكرم عبدالله بن سليمان بن بليهد في ذكر الأحوال التي أحدثها هؤلاء المتدينون فإذا هو الحق والصواب الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وهو الذي نعتقده وندين الله به بلا شك ولا ارتياب، فإن هؤلاء أحدثوا من البدع الضالة والأمور المحرمة أموراً لم يشرعها الله ولا رسوله قال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: ٢١] ، وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق: "وقفت على هذا الكلام النفيس الذي كتبه الشيخ الفاضل عبدالله بن سليمان سلمه الرحمن، وجعله من أوعية العلم والإيمان، فرأيته موافقاً للحق مشتملاً على بذل النصيحة لعباد الله والعناية والصدق". انظر: وثيقة رقم (١١) مصورة من أحد أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد غير مؤرخة، من ورقتين.

مؤتمراً في الرياض يكون في طليعة من يحضره العلماء، والأمراء، وزعماء الإخوان والقبائل، فتقرر أن يكون المؤتمر تحت مسمى (الجمعية العمومية)، وعقد في جمادى الأولى ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م إلا أن زعماء الإخوان لم يحضروا بل أرسلوا من ينوب عنهم(٩٠)، ومن المؤكد أن الشيخ عبدالله بن بليهد كان في طليعة العلماء الحاضرين، ويؤكد ذلك أن الملك عبدالعزيز كان يستشير الشيخ فيما يتعلق بالإخوان(٩١)، ويضاف إلى ذلك أن من المسائل المثارة في هذا المؤتمر قضية البرقيات، وكان للشيخ رأي فيها يؤكد أنها عمل بشري، ليس للسحر فيها مجال، وهذه من المسائل التي للشيخ فيها علم بسبب سفره للهند ومشاهدته لها هناك، حيث كانت بريطانيا تستعمر الهند.

وقد انفض المؤتمر عن تجديد البيعة للملك عبدالعزيز، وقد بدأ الجميع وكأنهم مقتنعون بالفتاوى التي أجيب بها عن المسائل التي أثارها من حضر من الإخوان، ولعل ذلك مما أعطى الملك عبدالعزيز رافداً مهماً؛ لاتخاذ ما يراه مناسباً تجاه المعارضين له(٩٢).

إلا أن بعضاً منهم لم يغيروا موقفهم، وأعلنوا أنهم القائمون حقاً بأمر الجهاد والدين، ولهذا ألحَّ ابن بجاد على الملك عبدالعزيز كي يسمح له ولأتباعه بغزو من وصفهم بأعداء الإسلام خارج حدود البلاد الشمالية، ويذكر أحد المؤرخين(٩٣) أن الملك عبدالعزيز استدعى الشيخ عبدالله بن بليهد من الفوارة(٩٤)، وأطلعه على رسالة

---

(٩٠) العثيمين، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٢١٨-٢١٩.

(٩١) نفسه، ج٢، ص٢٢١.

(٩٢) نفسه، ج٢، ص٢٢١.

(٩٣) العبيِّد، محمد بن علي، النجم اللامع للنوادر جامع، مخطوط غير متداول لدى أقارب مؤلفه، ص ص٢٤٦-٢٤٧؛ العثيمين، مرجع سبق ذكره، ج٢، ص٢٢١، من الحاشية.

(٩٤) الفوارة: بلدة قديمة تقع في غرب منطقة القصيم، وتبعد عن بريدة حوالي ١٥٧ كيلاً، ولها ذكر في كتب البلدان القديمة. العبودي، مصدر سبق ذكره، ج ٥، ص ١٨٦٧- ١٨٧٨.

من ابن بجاد إليه، يشير فيها أن أتباعه ثائرون عليه يريدون أن يسمح لهم بالغزو، وإلا فإنهم سيقومون بذلك دون إذنه، ويذكر أن الشيخ أشار عليه بأن يدعهم يفعلون ذلك، إلا أن الملك عبدالعزيز تريث في اتخاذ قرار بشأن هذه المسألة .

سابعاً: عودة الشيخ عبدالله بن بليهد إلى قضاء حائل للمرة الثانية

تفيد إحدى الوثائق التي بين أيدينا أن الملك عبدالعزيز بعد أن عيّن الشيخ عبدالله بن بليهد رئيساً لقضاء الحجاز، عيّن الشيخ حمود بن حسين الشغدلي(٩٥)، قاضياً في حائل والمناطق التابعة لها، وقد أمره بالبت في القضايا، وعدم تأجيل شيء منها، وفي هذا يقول الملك عبدالعزيز في رسالته إلى الشيخ حمود: "... كذلك سلمك الله الشيخ عبدالله بن سليمان هالايام محتاجين لبقائه في مكة موجب دعاوي الأهالي، والنظر فيها، وتفهم أن طرفكم ... [كلمة غير واضحة] لمعرفة طالب علم ينظر في دعاوي ... [كلمة غير واضحة] ويخلص بينهم، وقد عهد الشيخ بذلك إليك، وإنما يبلغني أن بعض الدعاوى تأجلونها إلى حضور الشيخ، ولا هوب معلوم أن كل دعوى تأجل لهذا إن شاء الله تستعين بالله وحده، وتجلس للناس وتحرص على تحري موافقة المشروع، ونسئله [هكذا] تعالى أن يوفق الجميع لما به الصواب، وترا هذا شيء ما عنه بد ولا لك عذر من ملزوم إن شاء الله تستقيم فيه والشيخ ماله... [كلمة غير واضحة] تطول فقط هالايام وهو جايكم إن شاء الله، هذا مالزم تعريفه والسلام..."(٩٦).

---

(٩٥) ولد الشيخ حمود بن حسين الشغدلي في حائل عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م، وتتلمذ على علماء بلده، ثم رحل إلى الرياض؛ فطلب العلم هناك على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٩م، وتميز بعلم الفقه والعقيدة والعربية، وكان شاعرا، كان يكلف بالقضاء نيابة عن الشيخ عبدالله بن بليهد حتى عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، عُين قاضيا رسميا فيها حتى أحيل على التقاعد عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، وتوفي عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، وله علاقة وثيقة بالملك عبدالعزيز. البسام، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص١٣٦- ١٤٠.

(٩٦) وثيقة رقم (١١) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد مؤرخة في عام ١٣٤٤هـ.

وبعد التمعن في هذه الوثيقة تتبين لنا النتائج الآتية:

١ - أن الشيخ عبدالله بن بليهد أناب عنه الشيخ حمود الشغدلي بعد أن كُلف الأول في رئاسة قضاء الحجاز، إلى أن صدر التكليف الرسمي من الملك عبدالعزيز للشيخ حمود الشغدلي بتولي قضاء حائل.

٢ - أن الشيخ حمود كان يؤجل بعض القضايا إلى حين عودة الشيخ عبدالله بن بليهد إلا أن الملك عبدالعزيز أمره بالبت في قضايا الناس حتى لا تتعطل مصالحهم.

٣ - تُبين هذه الوثيقة أن الملك عبدالعزيز استعان بالشيخ عبدالله بن بليهد لرئاسة قضاء الحجاز، وتنظيم شؤونه لفترة مؤقتة، حتى تستقر الأمور هناك، ومن ثم يعيده إلى حائل وما حولها، وذلك فيما يبدو بعلم من الشيخ.

ومهما يكن الأمر فإنه بعد نهاية موسم الحج عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بأسبوع طلب الشيخ عبدالله بن بليهد من الملك عبدالعزيز إعفاءه من عمله في الحجار فرفض الملك بداية، وبعد إلحاح من الشيخ وافق، وبعد أن علم أهل حائل جاء وفد منهم إلى الملك عبدالعزيز يطلبون منه تعيين الشيخ قاضياً عندهم للمرة الثانية، فأحال الملك الطلب إلى الشيخ فاعتذر من أهل حائل، فرجعوا إلى الملك وألحوا في الطلب، فأشار عليه أن يلبي طلبهم، فوافق الشيخ على هذا الأمر، فارتحل من مكة المكرمة وباشر عمله هناك قاضياً ومدرساً في جامع برزان(٩٧). وهذا لا يعني أن الشيخ كان منقطعاً عن زيارة حائل خلال توليه رئاسة قضاء الحجاز، بل كان يزورها بين الفينة والأخرى.

وقد باشر الشيخ عبدالله بن بليهد عمله رسمياً في حائل للمرة الثانية في مستهل عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٦م، واستمر في القضاء

---

(٩٧) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٣٩٤؛ الهندي، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

والتدريس في جامع برزان حتى ذي الحجة عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م، فسافر إلى الحج ومعه بعض أعيان حائل، وبعد إتمام مناسك الحج طلب من الملك عبدالعزيز أن يعفيه من القضاء، بعد أن ضعف جسمه، وتكاثرت عليه الأمراض، فوافق على ذلك(٩٨).

وفي مجال حلقات الدرس التي يعقدها الشيخ عبدالله بن بليهد في جامع برزان يذكر أحد تلاميذه(٩٩) ذلك بقوله: "فكان طلبة العلم يجتمعون إليه حلقا متتابعة، حضرت دروسه في صغري، وقرأت عليه ثلاثة الأصول، وآدب المشي إلى الصلاة، وكان الناس يتعجبون من فصاحته، وتقريره، وتحليله للمسائل، وإخراج النتيجة مما يماثلها، حتى كأن كتب الدنيا بين عينيه، إذا تكلم بشيء قلت: هو الإمام فيه سواء أكان حديثاً أو تفسيرا أو فقها، أو عربية أو فرائض، أو تجارة أو زراعة أو صناعة...". وبذلك تتلمذ(١٠٠) عليه عدد كبير من الطلاب، ورحل إليه العديد منهم من المناطق القريبة من حائل، وأصبح هو المعتمد الأول فيها في التدريس والإفتاء.

---

(٩٨) المقرن، محمد بن عبدالله، من أعلام القضاء، مجلة العدل، العدد٢٠، السنة الخامسة، الرياض، شوال ١٤٢٤هـ، ص١٩٨.

(٩٩) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

(١٠٠) من أبرز تلاميذه: الشيخ حمود الشغدلي قاضي مدينة حائل، والشيخ سالم صالح البنيان، والشيخ علي محمد الهندي، الشيخ حمد أبو عرف، والشيخ أحمد المرشدي قاضي مدينة حائل بالنيابة، والشيخ علي بن صالح آل بنيان، والشيخ عبدالرحمن سليمان الملق من قضاة مدينة حائل بالنيابة، والشيخ محمد بن عبدالوهاب بن عقيل قاضي دومة الجندل، والشيخ حمد بن سليمان بن بليهد أخو الشيخ عبدالله، والشيخ عبدالله بن صالح الخليفي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، والشيخ علي بن عبدالعزيز العباس، والشيخ محمد ابن خلف قاضي تيماء، والشيخ محمد الشاوي قاضي شقراء، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الرشيد قاضي الرس ثم رنية، والشيخ محمد بن صالح الخزيم، وغيرهم كثير، القاضي، مصدر سبق ذكره، ج٢، ص٤٠٠؛ الهندي، مصدر سبق ذكره، ص١٩؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٧- ١٤٨.

ثامنًا: منهجه في القضاء

يحرص الشيخ عبدالله بن بليهد على توافر الأدلة الكافية، والشروط الشرعية للنظر في أي قضية، لأن الأصل براءة المدعى عليه، كما أن الشيخ يعمد إلى التوصل إلى صلح بين المتخاصمين، لأن في ذلك تطييب للنفوس، قد لا يوجد إذا صدر الحكم الشرعي بين المتخاصمين(١٠١).

ويقول عنه أحد تلاميذه(١٠٢): إن الشيخ "غرس في الناس أحكاماً خفف فيها المشاكل بين الناس إلى اليوم، كان يقضي قضاء يبهر العقول ما نراه إلا إلهاماً من الله تعالى؛ لأن الطرفين لا يمكن أن يرضيا بقضاء قاض مهما كان مبلغه من العلم والعقل، غير أن الشيخ ابن بليهد لا يقوم من عنده الطرفان غالباً إلا وهما راضيان كل الرضاء، والقضاء عليه أيسر وأسهل من كل شيء"، ولعل ذلك في الواقع راجع إلى أمرين :

١ - أن الشيخ يملك لباقة في الحديث وحسناً في الأسلوب، وعلماً غزيراً، وفهماً للمسائل.

٢ - قوة الإقناع، وقدرة الشيخ على إقناع المتخاصمين بالحق حتى بعد صدور حكمه في الخصومة.

كان للشيخ خلال ممارسته للقضاء في منطقة حائل وما حولها علاقة وثيقة مع الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير المنطقة؛ لأن الشيخ بيده السلطة القضائية، والأمير يملك السلطة التنفيذية، ولهذا كان هناك تشاور فيما بينهما في سبيل إنهاء بعض النزاعات التي تكون بين الناس، لا سيما تلك التي تقوم على المزارع، وإذا لم تصح ملكية أرض ما للمتخاصمين، فإن الشيخ يترك الخيار فيها للأمير(١٠٣).

---

(١٠١) مقابلة سبق ذكرها.

(١٠٢) الهندي، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

(١٠٣) وثيقة رقم (١٢) من ورقة واحدة وهي رسالة من الشيخ عبدالله بن بليهد إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي مصورة من أحفاد الشيخ.

وربما يعمل الشيخ على إرسال من يثق بهم من أصحاب الخبرة للخروج إلى مكان النزاع، ومحاولة حلِّ الخصومة هناك وإنهائها، ثم بعد ذلك يقوم الشيخ بالتصديق على هذا الصلح(١٠٤)، ويكون في ذلك قطع للنزاع دون الترافع أمام القاضي، وهذا فيه دلالة على ما يتمتع به الشيخ من حكمة وبعد نظر، وإدراك لعواقب الأمور.

أما الأحكام السابقة التي صدرت من قضاة سابقين، وتنشأ فيها خصومة جديدة؛ فإن الشيخ غالباً ما يُجري العمل في الحكم السابق، ويصدق عليه، وله في ذلك وثائق عدة(١٠٥).

تاسعاً: أنشطة متنوعة قام بها الشيخ

تميز الشيخ عبدالله بن بليهد بمهارات متنوعة، منها أنه كان بارعاً في الدلالة، وله خبرة واسعة في معرفة الطرق والأماكن، وموارد المياه، والبلدان، والوديان، والجبال، ولهذا يذكر أن الشيخ كان يتجول في صحاري نجد بسيارته، ففي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م قام الشيخ برحلة برية على سيارته، من مكة المكرمة إلى جدة، ثم المدينة النبوية، ثم حائل، ثم إلى القصيم، ورجع من ذلك الطريق حتى وصل إلى مكة المكرمة، واستطاع أن يقطع المسافة بين المدينة النبوية وجدة خلال اثنتي عشرة ساعة، وهي مدة قصيرة في ذلك

---

(١٠٤) وثيقة رقم (١٣) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ، وقد كتب الشيخ في أسفل ورقة الصلح: " ليكن معلوماً بأني أجريت الحدود المذكورة أعلاه الورقة بين... و... على موجب ما ذكروا ألزمت كلاً منهم بذلك قطعاً للنزاع ودفعاً للضرر عن الجميع...".

(١٠٥) انظر مثلا: وثيقة رقم (١٤) من ورقة واحدة مصورة من أحفاد الشيخ عبدالله بن بليهد، ومؤرخة في عام ١٣٢٨هـ، وفيها حكم للشيخ صالح بن سالم آل بنيان قاضي حائل المتوفى عام ١٣٣٠هـ، وكتب الشيخ عبدالله بن بليهد في أسفله: "ليكن معلوماً بأن العمل على ما حكم به الشيخ صالح رحمه الله، كما هو مقرر أعلاه الورقة [هكذا]، فلا يشكل عن من نظر فيه قال ذلك كاتبه عبدالله بن سليمان البليهد وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٥٥هـ".

الزمن، وقد أسهمت معرفة الشيخ وخبرته الشخصية بالطرق الصالحة لسير سيارته(١٠٦).

ومن خلال قراءات الشيخ عبدالله بن بليهد، ومعرفته بالأماكن تبين له وجود إمكانية لإعادة جريان عيون مياه كانت موجودة في الفوارة(١٠٧)، لا سيما وأنها كانت أرضًا ذات نخل وزرع في صدر الإسلام؛ إلا أنها اندثرت وأصبحت فيما بعد مورد ماء ترتاده قبائل العرب، مجرداً من كل عمارة، بل هو مجرد حتى من ذكر تلك العيون، وفي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م زارها الشيخ، وقام بإجراء إحدى عيونها، ونقل إليها فسائل النخيل من القصيم، وعمّرت الفوّارة من جديد، وأصبح الشيخ عبدالله بن بليهد يزورها بين الفينة والأخرى، وبعد ذلك نزل الفوارة أمير بني سالم من قبيلة حرب حجاب بن نحيت وجماعته واستوطنوها، واتخذوها هجرة لهم، وذلك في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م(١٠٨).

ويشير بعض المعاصرين(١٠٩) للشيخ أنه تكبد خسائر كبيرة، وتحمل ديوناً كثيرة من جراء ذلك، وعلى أي حال فقد أهملت تلك العين بعد وفاة الشيخ، وقلّت العناية بها حتى مات نخيلها(١١٠).

عاشراً: مؤلفات الشيخ

كان الشيخ عبدالله بن بليهد مقلاً في التأليف، ولعل ذلك راجع إلى كثرة أسفاره وتنقلاته في عمله، بين القصيم، وحائل، والحجاز إلا أن أحد المؤرخين ذكر أن له حواشي عدة في الفقه والحديث مما كان

---

(١٠٦) صحيفة أم القرى، العدد (١٣٠) بتاريخ ١٣٤٥/١٢/٢هـ، ص٢؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٣-١٤٦.

(١٠٧) سبق تعريفها.

(١٠٨) العبودي، مصدر سبق ذكره، ج٥، ص١٨٧٤- ١٨٧٦؛ مقابلة سبقت الإشارة إليها.

(١٠٩) مقابلة سبقت الإشارة إليها.

(١١٠) العبودي، مصدر سبق ذكره، ج٥، ص١٨٧٦.

يكتبه من مشايخه، وما يمر عليه أثناء قراءته(١١١)، وطبعت له رسائل وردود عدة سبقت الإشارة إليها.

والمشهور من مؤلفاته كتاب "جامع المسالك في أحكام المناسك" طبع أول مرة في عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م بمطبعة أم القرى على نفقة الملك عبدالعزيز، وكان يوزع مجاناً(١١٢)، كتب على غلافه: "للعلم العامل العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام ومفتي الأنام صاحب السماحة فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله بن سليمان آل بليهد رئيس القضاة متعنا الله بحياته آمين"، وقال الشيخ في مقدمته: "فهذا مختصر في أحكام المناسك على المذاهب الأربعة، اقتصرت فيه على بيان الحكم من غير ذكر الأدلة، ولم أتعرض فيه لترجيح ولا تزييف؛ لأن الغرض بيان ما هو المعتمد في غالب المسائل في كل مذهب، تقريباً للعامة المتقيدين بما عليه الفتوى في المذاهب، ورتبته على أبواب وفصول"(١١٣)، ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب ستا وثلاثين صفحة من القطع المتوسط.

وبعد الفراغ منه أهداه إلى الملك عبدالعزيز ومعه هذه الأبيات:

يا أيها الملك الإمام لأمة   عدته من تقواه من نساكها
هذي المناسك في المناسك روضة   مثل النجوم تضيء في أفلاكها
قد أوضح الدين الحنيفي نهجها   لأئمة سادوا بنيل سماكها
وتمسكوا بأدلة كالشمس في   إشراقها فالسعد في إمساكها
تسعى إليك هدية من خادم   للعلم كي يحظى بحسن دراكها
فأرشد بها غادي الطريق فإنها   شمس تنير وأنت من أفلاكها(١١٤)

---

(١١١) القاضي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص٤٠٠.

(١١٢) الطاهر، علي جواد، معجم المطبوعات العربية، المملكة العربية السعودية (١٣٤٤-١٣٩٠هـ/ ١٩٢٥-١٩٧٠م)، المكتبة العالمية والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد، ١٩٨٥م، ج٢، ص٣٦.

(١١٣) آل بليهد، عبدالله بن سليمان، جامع المسالك في أحكام المناسك، د. ط، د. ن، ١٤٠٢هـ، ص٢.

(١١٤) البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٦.

تكشف هذه القصيدة أن الشيخ عبدالله بن بليهد كان يمتلك موهبة شعرية، غير أنه لم يحفظ عنه غيرها.

ومن جهود الشيخ العلمية والدعوية رسالة طبعت ملحقة بكتابه المسالك بعنوان "سؤال وجوابه في مدعي الخلافة" من ست ورقات؛ وهي رد من الشيخ على عالم من علماء الهند ادعى أنه خليفة زمانه(١١٥)، ويبين هذا الرد سعة علم الشيخ، وقدرته على سرد الأدلة، وتحليل النصوص، ثم استنباط الأحكام.

حادي عشر: وفاة الشيخ

زادت الأمراض على الشيخ عبدالله بن بليهد في آخر حياته، ولذلك طلب إعفاءه من عمله، فوافق الملك عبدالعزيز على ذلك في عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، وكان الشيخ يعاني من مرض في أمعائه سبق أن أجرى لها عملية جراحية في الهند، ولهذا كان جسمه نحيلاً، واتبع حمية من بعض الأطعمة، وكان الحر يضعف جسمه، فنزل في الطائف طلباً للراحة، فاشتد مرضه هناك، وأصيب بالحمى نحواً من شهر ثم توفي في الساعة الثالثة ليلاً [بالتوقيت الغروبي] ليلة الاثنين العاشر من جمادى الأولى من عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، وصلي عليه في مسجد ابن عباس، ودفن في مقبرة الشهداء(١١٦).

وقد تقدم المصلين على جنازته الأمير فيصل بن عبدالعزيز، نائب الملك على الحجاز، وقضاة مكة المكرمة والطائف، والمسؤولون في الدولة، وأعيان الطائف ووجهاؤه، كما أقيمت صلاة الغائب في جميع مدن المملكة وقراها تقديراً من الدولة لرجالها(١١٧).

---

(١١٥) آل بليهد، مصدر سبق ذكره، ص٥٨-٦٤.

(١١٦) صحيفة أم القرى، العدد ٨٠٩، بتاريخ ١٣٥٩/٥/١٥هـ، ص٥؛ البسام، مصدر سبق ذكره، ج٤، ص١٤٨.

(١١٧) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء منهم أحمد إبراهيم الغزاوي نائب رئيس مجلس الشورى في قصيدة طويلة فقال(١١٨):

في مثلك الصبر عند الله يحتسب   والعلم يُفقد والأشجان تصطخب
يا ويح كل فؤاد أنت موقظه   أمسى بفقدك في أعماقه يثب
ويا رزئة هذا النعي في ملأ   كأنما الدمع من آماقه عبب
تنهل عبراته حزنا على جدث   فيه السماحة والأخلاق والأدب

كما رثاه ابن عمه محمد بن بليهد في قصيدة طويلة هذا جزء منها:

ما بال عينك منها الدمع ينهمر   كأنه جدول أو مدجن مطر
جاء البريد وفي أولى حقائبه   من بعد ما ألقيت أثقاله خبر
اهتز نجد وأقصاء البلاد له   وقد شكا الحزن منه البدو الحضر
موت الفقيد الذي تبقى مآثره   وكل منقبة تبقى بها العصر(١١٩)

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

(١١٨) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٩.

(١١٩) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٩-١٥٠.

الخاتمة

من خلال دراسة حياة الشيخ عبدالله بن بليهد وجهوده في الدعوة والقضاء ودوره في الحياة العامة يمكن إجمال النتائج فيما يأتي:

١ - كان اختيار الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالله بن بليهد للقضاء اختياراً موفقاً لما يتمتع به الشيخ من سعة علم، وبعد نظر، وأسلوب حكيم في الدعوة إلى الله، وقوة حجة في الإقناع.

٢ - نجح الشيخ عبدالله في نشر الدعوة السلفية الصحيحة في منطقتين مهمتين هما حائل والحجاز.

٣ - قام الشيخ عبدالله بجهود موفقة وناجحة في الحجاز، وتم على يديه القضاء على كثير من البدع والخرافات في تلك المنطقة المهمة.

٤ - عمل الشيخ عبدالله على نشر العلم الشرعي الصحيح، القائم على الدليل من الكتاب والسنة بين الناس خلال دروسه التي كان يعقدها سواء في حائل أو في الحرمين الشريفين.

٥ - ارتبط الشيخ بعلاقات وثيقة مع بعض علماء العالم الإسلامي ودعاته، وتراسل معهم، وذلك بعد لقائه بهم في مواسم الحج، وفي مؤتمر العالم الإسلامي الأول.

٦ - مثل الشيخ عبدالله الملك عبدالعزيز في مؤتمر العالم الإسلامي الأول الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ونجح الشيخ نجاحاً باهراً في الرد على من دعا إلى إعادة بناء القباب والمزارات البدعية، ونجح - في وقت بالغ الحساسية - في الخروج من هذا المؤتمر بنتائج جيدة على الأقل.

٧ - تعد التنظيمات القضائية التي وضعها الشيخ عبدالله بعد توليه رئاسة قضاء الحجاز أساساً اعتمدت عليه التنظيمات القضائية في المملكة العربية السعودية.

٨ - قام الشيخ بجهود موفقة في مناصحة الإخوان في حائل وما حولها، وتعليمهم، الأمر الذي نتج عنه أن حيّد هؤلاء فلم ينضموا إلى المعارضين للملك عبدالعزيز.

٩ - كان للشيخ عبدالله علاقات قوية مع الملك عبدالعزيز، فأصبح الملك يستشيره في بعض المسائل الحساسة.

١٠ - تميز الشيخ عبدالله بمنهج حكيم في القضاء بين الناس، فحرص على عقد الصلح بين المتخاصمين قبل أن يتخاصموا عنده، مما أدى إلى نهاية كثير من النزاعات قبل وصولها إلى المحكمة.

١١ - تبين من هذا البحث أن الشيخ عبدالله من العلماء القلائل في زمنه، إذ جمع بين العلم الشرعي، ومعرفة عامة لبعض العلوم الحديثة، وربما يرجع ذلك إلى دراسته في الهند خلال رحلته العلاجية.

١٢ - أن انشغال الشيخ في القضاء والدعوة إلى الله كان من أهم أسباب قلة مؤلفاته، وليس ذلك راجع إلى قلة علمه، وعدم قدرته على ذلك.